

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

### معالجة مقالة السيد الخوئي

لقد تبنى السيد الخوئي - حول حقيقة الإنشاء - بأنه إبراز الاعتبار النفسي - و نراه قد استخدم هذه المنهجية في الفقه كثيراً، فهذا الإبراز في إطار الإخبار هو نفس إظهار الحكاية و في نطاق الإنشائيات إظهار الإرادة النفسية، و أمامك نص عبارته:

إذا عرفت ذلك فنقول: قد ظهر مما قدمناه أن الجملة الإنسانية - بناء على ما بيناه من أن الوضع عبارة عن التعهد والالتزام النفسي - موضوعة لإبراز أمر نفسي خاص (كما اعتقد المحقق الهمداني) فكل متسلم متعمد بأنه متى ما قصد إبراز ذلك يتكلم بالجملة الإنسانية، مثلاً إذا قصد إبراز اعتبار الملكية يتكلم بصيغة بعث أو ملكت، وإذا قصد إبراز اعتبار الزوجية بيرزه بقوله: زوجت أو أنكحت، وإذا قصد إبراز اعتبار كون المادة على عهدة المخاطب يتكلم بصيغة إفعل ونحوها، وهكذا، ومن هنا قلنا أنه لا فرق بينها وبين الجملة الخبرية في الدلالة الوضعية والإبراز الخارجي، فكما أنها مبرزة لاعتبارات كالملكية والزوجية ونحوهما، فكذلك تلك مبرزة لقصد الحكاية والأخبار عن الواقع ونفس الأمر.

ثم رفض معتقد المحقق الاصفهاني حول "تنزيل اللفظ منزلة المعنى ذاتاً" بأن حقيقة الإنشاء لا ينحصر في مسلك التنزيل، فإن خصوصيات المعنى كالحسن والقبح المعنائى، تسرى إلى اللفظ حتى وفقاً لغير مسلك التنزيل، إذ الذي يُعدّي خصال المعنى إلى اللفظ هي الدلالة بحيث إن علقة الدلالة ما بين اللفظ والمعنى تُشكّل ترابطاً حكيمًا ما بينهما فنتعدى مواصفات المعنى إلى اللفظ أيضاً، فلا ينحصر تفسير الإنشاء على فكرة التنزيل، نعم وفقاً لفكرة التنزيل يُعد وجود اللفظ عين وجود المعنى فتتسرى الخصوصيات أيضاً ولكن هناك سُبُل أخرى أيضاً كالدلالة كما بيننا ذلك.

ثم استشكل السيد الخوئي على المحقق الآخوند قائلاً:

فتحصلّ مما ذكرناه: أنه لا وجه لما ذكره المحقق صاحب الكفاية (قدس سره) من أن طبيعى المعنى في الإنشاء والأخبار واحد، وإنما الاختلاف بينهما من ناحية الداعي إلى الاستعمال، فأنك عرفت اختلاف المعنى فيهما، فإنه في الجملة الخبرية شيء (مبرز) لقصد الحكاية والأخبار عن الواقع) وفي الجملة الانشائية شيء آخر (مبرز للإرادة في الاعتبارات كالملكية والزوجية فليس الإنشاء والإخبار مُتحدين في طبيعى المعنى).

وممّا يؤكّد ما ذكرناه: أنه لو كان معنى الإنشاء والأخبار واحداً بالذات والحقيقة، وكان الاختلاف بينهما من ناحية الداعي، كان اللازم أن يصح استعمال الجملة الاسمية في مقام الطلب كما يصح استعمال الجملة الفعلية فيه، بأن يقال: المتكلم في الصلاة معيد صلاته، كما يقال إنه يعيد صلاته أو إنه إذا تكلم في صلاته أعاد صلاته، مع أنه من أفحش الأغلاط، ضرورة وضوح غلطية استعمال "زيد قائم" في مقام طلب القيام منه، فإنه مما لم يعهد في أيّ لغة من اللغات.نعم، يصح إنشاء المادة بالجملة الاسمية، كما في جملة أنت حر في وجه الله أو هند طالق، ونحو ذلك.[1]

ثم عرج السيد الخوئي إلى الكلام النفسي المجلد الثاني حيث قد هاجم حقيقة الكلام النفسي بأنه لا واقع لهذا الكلام لا وفقاً لمنهج المشهور ولا وفقاً لمنهج إبراز الأمر النفسي، وإليك مقالته في هذا الميدان:

بعد ذلك نقول: أن مدلول الجمل الإنسانية على كلتا النظريتين ليس من سخ الكلام النفسي عند الفائلين به:

1. أما على نظرية المشهور فواضح، لما عرفت من ان الكلام النفسي عندهم (الأشاعرة) عبارة عن 1. صفة قائمة بالنفس في مقابلة صفات النفسانية، 2. و قد ينفيها من الصفات الأزلية، وبطبيعة الحال إن إيجاد المعنى باللفظ فاقد لهاته الركيزتين معاً: أما الركيزة الأولى فلأنه (إيجاد المعنى باللفظ) ليس من الأمور النفسانية، ليكون قائماً بها. و أما الثانية فلفرض أنه حادث بحدوث اللفظ، و ليس بقديم.

2. و أما على نظريتنا فأيضاً الأمر كذلك، فإن إبراز الأمر الاعتباري ليس من الأمور النفسانية أيضاً، فالنتيجة لحد الآن أنه لا يعقل في موارد الجمل الخبرية، و الإنسانية ما يصلح أن يكون من سخ الكلام النفسي، و من هنا قلنا أنه لا يخرج عن مجرد وهم و خيال، فلا واقع موضوعي له.[2]

إذن فنجمَ الآراء المستخلصة ضمن الأرقام التالية:

1. المشهور: إيجاد المعنى باللفظ في عالم الاعتبار.

2. المحقق الأخوند: إيجاد المعنى باللفظ في نفس الأمر

3. المحقق الاصفهاني: اللفظُ وجودٌ تنزيليٌ للمعنى.

4. السيد الخوئي: إظهار الاعتبار النفسي. وكذلك الشيخ الحائر، وقد استحضرنا عبائرهم بأسرها مسبقاً فلاحظها.

### إشكاليات عدّة على اتجاه السيد الخوئي

1. إن السيد الخوئي قد بنى نظريته في بابي الوضع والإنشاء على "قصد الاعتبار الشخصي في النفس" حيث قد عبر عن الوضع بالتعهد ما بين الطرفين، سواءً قد تعااهد و اعتبره المولى العرفي أو الله سبحانه، إذن فلو خلقَ الإنسانُ في نفسه اعتباراً شخصياً ثم أبرزه عبر الكلمات لأصبح هذا الإبراز هو نفس الإنشاء، بينما توقف الإنشاء على الاعتبار الشخصي لا يصدق بالنسبة إلى الله تعالى فإنه سبحانه لا يُلاحظ شيئاً في نفسه في البداية ثم يُبرزه في نفس النبي أو الإمام، نعم ربما يحدث ذلك الاعتبار الشخصي في نفوس العقلاة حيث يتصورون الشيء ثم يشتقونه ثم يصدقونه ثم يُريدونه ثم يُنشأونه بالألفاظ خارجاً، ولكن هذا الأسلوب الإنساني لا يتوقف دوماً على قصد الاعتبار في جوف النفس، بل ربما أنشأ عقداً من دون أن يلتقي في باطنِه إلى القصد، إذن فاستحضارُ النية و القصد لا يُعد ركناً في الإنسانيات و اعتبار الأشياء فلو تلفظ بلفظة "بعث" لتكونَ البيع تلقائياً بل قصد الإيجاد في النفس الباطني.

2. إن نهجَه يصطدمُ مع المركبات العرفية في أفق الوضع والإنشاء، إذ المحورُ هي الرؤية المتعارفة بينما العرفُ لا يُنشأُ بهذا الأسلوب إذ حينما يتقوه بـ"بعث" فلا يتعاهدُ مع الطرف المقابل ولا يُبرزُ أمراً نفسيانياً مقصوداً في الذهن بل وفقاً لميرزا النائي - حيث قد رفضَ السببية و المسبيبة للألفاظ. إن الألفاظ تُعد موضعاً لتحقيق اعتبار الملكية بحيث توفرُ ظرفَ المعنى فحسب، لأنَّ الوضع قد تعااهدَ مع الناس حينَ الوضع ثمْ أبرزَ أمرَه النفسي خارجاً، إذن فالعرفُ لا يُحيي المنشأَ الذي يعتبرُ أمراً شخصياً في نفسه مع مخاطبه، نعم أحياناً يعتبر المعتبرُ أمراً في نفسه ثم يقصدُه ثم يُبرزُه.

3. إنَّ سُنْخِيَّةِ الإِنْشَاءِ وَالْخَبَرِ تُعدُّ مِنْ أوصافِ اللفظِ كُلِّيَّةً وَلَعْلَّ وَصِيفَةً لِفَعْلٍ أَوْ فَعَلَّ أَوْ زَيْدٌ قَائِمٌ، بَيْنَمَا وَفَقًا لِمُعْتَقْدِ السَّيِّدِ الْخَوَيْيِّ سُتُّصْبِحُ هُوَيَّةُ الإِنْشَاءِ وَالْإِخْبَارِ مِنْ أوصافِ الْمَعْنَى لِأَنَّ السَّيِّدَ قَدْ أَوْحَدَ مَا بَيْنَهُمَا فِي نَقْطَةٍ "إِبْرَازِ الْأَمْرِ النَّفْسَانِيِّ" فَكَلَّا الْمَنْشَأُ وَالْمَخْبَرُ مُبْرَزاً لِمَعْنَى مُحَدِّدٍ بَاطِنِيٍّ إِلَّا أَنَّ الْمَنْشَأَ يُبَرِّزُ الْإِرَادَةَ وَالْمَخْبَرُ يُبَرِّزُ الْحَكَايَةَ.

4. لو دققنا في تفسير المشهور بأنَّ الإِنْشَاءَ هو "إِيجَادُ الْمَعْنَى بِالْلَّفْظِ" للاحظنا موافقته للمعنى اللغويِّ فَإِنَّهُمْ قد فسَّرُوا الإِنْشَاءَ وَالْإِخْبَارَ بِهَذِهِ الصِّيَاغَةِ، بَيْنَمَا مَنْهَجُ السَّيِّدِ الْخَوَيْيِّ لَا تُرَافِقُ الْمَعْنَى الْلَّغُوِيِّ فِي الإِنْشَاءِ وَالْإِخْبَارِ، فِي الْتَّالِيِّ، إِنَّا وَفَقًا لِلْمَشْهُورِ نَجُدُ إِيجَادًا لِلْمَعْنَى بِوَاسْطَةِ الْلَّفْظِ بَيْنَمَا السَّيِّدُ قَدْ اسْتَكَرَّ إِيجَادَهُ مِنْ أَسَاسِهِ بِحِيثِ يَرِيُّ الإِنْشَاءَ وَالْإِخْبَارَ إِبْرَازًا فَحَسْبٍ.

5. إنَّ الْبَاءَ الْجَارَةَ فِي تَعْرِيفِ المَشْهُورِ "إِيجَادُ الْمَعْنَى بِالْلَّفْظِ" لَيْسَ بَاءَ السَّبَبَيَّةِ كَيْ يُزَعِّمَ مِنْهُ إِيجَادُ التَّكَوينِيِّ لِلْمَعْنَى ثُمَّ يَعْتَرِيُ الْإِشكَالُ عَلَى المَشْهُورِ كَمَا زَعَمَهُ السَّيِّدُ الْخَوَيْيِّ أَيْضًا، بَلْ الْبَاءُ لِلْلَّاستِعَانَةِ - أَوِ السَّبَبَيَّةِ بِمَعْنَى جَزءِ الْعَلَةِ - فَإِنَّ المَشْهُورَ يَعْتَقِدُ بِأَنَّ الْعَقْلَاءَ بِعَوْنِ الْلَّفْظِ يُهِيَّأُونَ ظَرْفَ الْمَعْنَى فِي عَالَمِ الاعْتِبَارِ لَا إِيجَادَ بِلَوْنِ الْعُلَيَّةِ التَّامَّةِ فِي الْخَارِجِ كَمَا زَعَمَهُ الْمُعْتَرِضُونَ، إِذْنَ فَطَاقَةُ الْمَوْجِدِ الْلَّفْظِيِّ هُوَ بِحَدِّ الْمَقْتَضِي لِلْمَوْضَعَ - جَزءِ الْعَلَةِ - فِي عَالَمِ الاعْتِبَارِ وَذَلِكَ نَظَرًا إِلَى الْبَرهَانِ الْعُقْلِيِّ الشَّهِيرِ بِأَنَّ الْلَّفْظَ لَا يُعُدُّ فِي سَلْسَلَةِ عَلَلِ خَلْقِ الْمَعْنَى، فِي الْتَّالِيِّ، ثُمَّةَ تَمايزٌ مَا بَيْنَ الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ حِيثُ إِنَّ الْمَخْبَرَ لَا يُولَدُ شَيْئًا بَلْ يَقُصُّ مَا حَادَثَ بَيْنَمَا الْمَنْشَأُ يَخْلُقُ اعْتِبَارًا وَيُنْشَأُ مَوْضِعَ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ كَالْمَلْكِيَّةِ وَ... .

---

[1] محاضرات في أصول الفقه (طبع موسسة أحياء آثار السيد الخوئي)، ج1، ص: 100

[2] محاضرات في أصول الفقه (طبع دار الهادي)، ج2، ص: 24